القسم الأول

الشعر

الموضوعات الشعرية :

كَثُر عددالشعراء، وغَزُرَ نتاجهم ، في العصر العباسي الثاني . وقد عاشوا في ظل الخلافة في بغداد ، أو في ظل الملوك والأمراء في المماليك والدويلات التي قامت آنذاك في الشرق والغرب . وكانوا من أجناس متباينة وأقوام مختلفة تجمعهم اللغة العربية التي كتبوا ماجادت به قرائحهم شعراً ونثراً .

إنَّ الاغراض الشعرية في هذا العصر غالباً ماكانت امتداداً لما هي عليه في العصور السابقة . ومن يرجع الى الدواوين الشعرية والكتب الأدبية يجد كفّة المديح هي الراجحة وكميته هي الفائقة . ولعل ذلك يعود الى كثرة المدّاحين الذين سخروا شعرهم لكسب المال والجاه ، حتى ان الكثيرين منهم في أواخر العصر العباسي اختصوا بالخلفاء عُرفوا بشعراء الديوان(٧٧٦)كانوا يتقاضون أجراً شهرية من الدولة . وينالون عطايا وهدايا من الخلفاء أنفسهم في مناسبات كثيرة . ومثال على ذلك الشاعر أبو الفوارس أحمد بن محمد الصيفي المعروف بـ « حمّيص بيص » فانه نال من المستضيء بأمر الله على أبيات مدحه بها حين تولّى الخلافة ثلاث مئة دينار وخلعة وضيعة كبيرة . منها قوله :(٧٧٧)

أقولُ وقد تولّى عنّا عُسْرٌ ... ولـيـلٌ لـم يزلْ تـقـيـا
وقد كُشِفَ الظّلامُ بمستضيء ... فما بالناس كُلِّهِمُ حفيّا
وفاض الـبـرّ والـمـعروفُ حتى ... خـشـيـنا عُبّاباً أو أتـيّا
بـلـغـنـا فوق ماكـنّا نُرَجّي ... هنيئاً يابني الدنيا هنيّا

ولاننسى في هذا المجال دور فريق من رؤساء الدويلات آنذاك في اجتذاب الشعراء وايوائهم والانفاق عليهم وتحفيزهم على نظم الشعر . مثل سيف الدولة الحمداني ، فانه ضرب دنانير خاصة للصلات ، وزن كل دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته . فأمر يوماً لأبي الفرج الببغاء بعشرة دنانير . فقال ارتجالاً :

---

(٧٧٦) ينظر الجامع المختصر ٩ ، ٦٩ .

(٧٧٧) ديوانه ٢ ، ٢٧٩ ، وتنظر الخريدة ، قسم العراق ، ١ ، ٢٢٠ .

نحنُ بجود الأمير في حَرَم نرتعُ بين السُّعود والنِّعَم
أبدعُ من هذه الدنانير لم يجرِ قديماً في خاطر الكرم
فقد غَدَتْ باسمه وصورته في دهرنا عوذةً من العَدَم

فزاده عشرةً أخرى .(٧٧٨) وكانت للمتنبي منزلة خاصة عند هذا الأمير . فقد كان يعطيه كلَّ سنةٍ ثلاثة آلاف دينار ازاء ثلاث قصائد ينشده إياها كل عام(٧٧٩) ودفعت هذه الشهرة أن يُنشيء بديع الزمان مقامه سماها « المقامة الحمدانية » . صوَّر فيها جود سيف الدولة وكرمه لجلسائه والمقربين منه .(٧٨٠)

ومن الرجال البارزين المشهورين باكرام أرباب الفكر . صلاح الدين الأيوبي . فانه كان لا يردُّ قاصداً ولا يصدُّ وافداً . وقد تجمَّع حوله عدد كبير من الشعراء . يمدحونه . ويشهرون مناقبه . ويتغنون ببطولاته . حتى نعته أحدهم برب الملاحم(٧٨١) :

ربُّ الملاحم لم يؤرِّخ مثلها الـ ـعلماءُ قِدماً في قديم الأعصرِ
مَنْ رامَ مِنْ كلِّ الملوك مرامَهُ تُخفِقْ مساعيهِ ويكبُ ويَعْثُرِ

وأشاد آخر بكرمه وكثرة عطائه . فقال :(٧٨٢)

مخضرَّة أكنافُه لوفوده والعام مُحمرُّ الذوائبِ أشهبُ
أرضُ بروضِ المكرماتِ أريضةٌ وثرى بُنَّوارِ الفضائلِ مُعْشِبُ
صبٌّ بتشييدِ المآثرِ مُتعبٌ فيها ومَنْ شادَ المآثرَ يتعبُ
ملكتْ سجاياهُ القلوبَ محبَّةً إنَّ الكريم الى القلوبِ مُحبَّبُ
كفَّ تكفُّ الحادثاتِ وراحةٌ ترتاحُ للجدوى وقلبٌ قلَّبُ
بك ياصلاح الدين يوسف أكتب الـ ـنائي ورفَّ المقشعرُّ المجدِبُ
وأقمتَ سوقاً للمدائح مُربحاً فياليه أعلاقُ الفضائلِ تُجْلَبُ

إنَّ الشعراء المدّاحين يبالغون ـ في الغالب ـ في كرم الممدوح وعطائه . فيجعلون يده كالغيث أو البحر مثل قول الأبيوردي في الوزير نظام الملك الحسن بن علي(٧٨٣) :

---

(٧٧٨) يتمة الدهر ١ : ٣٢
(٧٧٩) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ص ٤٩ .
(٧٨٠) تنظر مقامات بديع الزمان ص ١٥٨ .
(٧٨١) ديوان فتيان الشاغوري ١٤١ .
(٧٨٢) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ٢٤ .
(٧٨٣) ديوان الأبيوردي ١ : ٩ . ٦ .

ويخجل من راحتيه الغمام إذا درّ نائلة الصيّب
أتى في السماحة ما لم يدع لأهل الندى سيراً تعجب

وقد شدّد أبو المعري نعيه على أولئك الذين يتخذون من صناعة الشعر مجالاً للتكسب. فقال: «ومن بغى أن يتكسب بهذا الفن، فقد أوغ شرانهُ في شن(٧٨٤) غير ثقة على الوديعة. بل هي منه في صاحب خديعة»(٧٨٥). ووقف في الأبيات الاتية ناقداً أولئك الشعراء المتكسبين. فقال:(٧٨٦)

لا خير في جزل العطاء أتى رجلاً بأن كلامه جزلُ
يرجو فيمدحُ غير مرتقب ربّاً. وكل مقاله إزلُ
شهرت سيوف القول طائفة كذبٍ. وأفضل منهم الهزلُ

وشاع المديح النبوي في أواخر العصر العباسي ولعل سوء الحياة الاجتماعية وتدهور الأوضاع الاقتصادية وحلوم الخطر على البلاد من الاعداء الطامعين في الشرق والغرب كان وراء هذا الشيوع(٧٨٧). فان الشعراء اتجهوا الى الرسول طالبين منه العون على مآسيهم مثل قول الشيخ الزاهد الضرير يحيى بن يوسف الصَّرْصَري:(٧٨٨)

أشكو اليك وليس تعلمُ فتنة كادتْ لها لصمُ الصلابُ تصدَّعُ
فبمنْ أعزُّك وانطفاك فأجزل الـ ـنعمى عليك فحوضُ فضلك مترعُ
مثل جبر بثك الكسيرة إنّه لم يبق في قوس التجلّد منزعُ

ومن الفنون التقليدية في هذا العصر الهجاء. إذ لم يسلم منه الملوك والامراء والوزراء والقضاة والحجاب وكتاب الديوان... ومصدرهُ في الغالب البغض والكراهية والحسد والمنافسة. وقد حاول الشعراء في هذا الفن تجريد المهجوين من الفضائل والمحامد مثل قول أبي اسحاق ابراهيم بن عثمان الغزّي في هجاء أحد ملوك بلاد فارس واتهامه باللوم والاحتيال والكذب والبخل:(٧٨٩)

---

(٧٨٤) **الشن**: القربة البالية.

(٧٨٥) **رسالة الغفران** ص ٤١١.

(٧٨٦) **اللزوميات** ٢: ١٩٢.

(٧٨٧) **ينظر بحثنا** (المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية) **مجلة آداب الرافدين**، العدد ٥ سنة ١٩٨١

(٧٨٨) **فوات الوفيات** ٤: ٤٠٤.

(٧٨٩) **ديوان الغزي** ص ٢٦ نقلاً عن الحياة الأدبية في الشام ص ١٠١.

رأيـــتُ لؤماً مُـــصَوّراً رجُلاً ... مُـهـجـتُـه الاحـتـيال والـكذبُ
على سرير كالـنّـعـش لارَهـبُ ... يـعـلوهُ مـن هـيـبةٍ ولارغـبُ
وهو عـبوسٌ كالـفـهد مجـتـمعٌ ... يـكادُ مـن قـبـح خلقهِ يَـثـبُ
إنْ لم تكنْ همّة فإنّ له ... هَمْهَمَـــةً في خلالـــها صَـخـبُ
يـفرحُ ماصام ضـيـفـهُ وبشـ ... ـمْ الخبز، قبل الذّوق، يكتئبُ
يلتهبُ القلبُ منه بالجوع والـ ... ـياقوتُ في التاج منه يلتهبُ

وثمة شعراء أوغـلوا في أهاجيهم في الفحش والقذف ورخيص القول وبذيئ الكلام. ومن أكثرهم شرّاً وأقذرهم لساناً وأشدهم على الناس جرأة على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام. قال المسعودي: «كان شاعراً لسناً. مطبوعاً في الهجاء. ولم يسلم منه وزير ولا أمير. ولاصغير ولاكبير. وله هجاء في أبيه واخوته وسائر أهل بيته. فمما قاله في أبيه:

بَنَى أبو جعفر داراً فشيدها ... ومـثـلـه لـخـيار الدورِ بـنـاءُ
فالـجوعُ داخـلـها. والذّلُ خارجـها ... وفـي جوانـبـها بؤسٌ وضرّاءُ
ماينـفـعُ الدار تـشـيـيد حائـطـها ... وليس داخِلَها خبزٌ ولاماءُ»(٧٩٠)

ومن المشهورين بالهجاء أيضاً الشاعر أبو القاسم الحسين بن الحسين المعروف بالواساني. فانه كان يختلقُ لخصومه قصصاً مليئة بألفاظ سخيفة ومعانٍ سوقيّة مرذولة وهو في نظر الثعالبي «أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء. وكان في زمانه كابن الرومي في أوانه(٧٩١)». وقصائده في هذا الفن طويلة جداً. وقد بلغت احداها مئة وأربعة وتسعين بيتاً. وكذلك اشتهر بالهجاء المقذع المليء بالشتائم أبو عبد الله محمد بن بختيار المعروف بالأبلة البغدادي(٧٩٢). وشرف الدين محمد بن نَصْر المشهور بابن عُنين. فله أهاج كثيرة في اشراف الناس وسراتهم(٧٩٣). ولم يتورع من نظم قصيدة منحطّة سافلة تقبح النفس من سماع صورها سماها «مِقْراض الاعراض».

وتجدر الاشارة الى أنّ هناك شعراء كباراً لم يُعطوا للهجاء اهتماماً. فالقاريء لا يجد شيئاً ذا بال في ديوان الطغرائي والارجاني والأبيوردي وظافر الحداد والبهاء

---

(٧٩٠) مروج الذهب ٤ : ٢٠١.
(٧٩١) يتيمة الدهر ١ : ٢٥١.
(٧٩٢) ينظر ديوانه ص ٧١ ـ ٨١.
(٧٩٣) الباب السابع في ديوانه كله هجاء ص ١٧٩ ـ ٢٢٨.

زهير ... ونزه آخرون دواوينهم منه أمثال علي بن مُقرَّب العُيوني ، والشريف أبي الحسن علي بن الحسين العُقيلي ، وأبي بكر أحمد بن سعيد العُماني المعروف الستالي ، وأسامة بن منقذ ، وابن الدهان الموصلي ، وابن النبيه المصري ...

ولسوء الأوضاع الاقتصادية وتدهور الحياة السياسية ولاسيما في القرن الرابع للهجرة ، عاش كثير من الناس في شظف العيش ، يتجرعون مرارة البؤس والحرمان وآلام الجوع والهوان ، وقد لجأت فئة منهم ـ تحت وطأة الفقر ـ الى الاستجداء والاحتيال على ابتزاز الأموال بطريقة خاصة ، يدعون أهل الكدية أو الساسانيين ، وظهر فيهم شعراء مجيدون مثل أبي الحسن عقيل ... محمد الملقب بالأحنف العكبري ، ومسعر بن مهلهل المعروف بأبي دُلَف ا ... جني ، كانوا يُصوِّرون في شعرهم الحالة المزرية التي هم فيها ، وتنقلهم من بلد الى آخر مشردين ، يطوي بطونهم الجوع ، هائمين بلا مسكن ، بلغة تثيرُ العطف والشفقة وتستنزلُ العون والمساعدة ، مثل قول الاحنف العكبري(٧٩٣) :

العنكبوتُ بَنَتْ بيتاً على وهنٍ تأوي اليه وما لي مثله وطَنُ
والخنساءُ لها من جنسها سَكَنٌ وليس لي مثلها الا ولا سكنُ(٧٩٤)

ويلمسُ القارئ في شعرهم انتقاداً ولاسيما للفئة الحاكمة التي ملأت جيوبها بالمال والجواهر و... الناس في فقر مدقع مثل قول العكبري(٧٩٥) :

ترى العِقيانَ والذهبَ المُصفّى تُركَّبُ فوقَ أنفارِ الدواب(٧٩٦)
وكيسي منه أخلَقُ مثلِ كفّي أما هذا من العَجَبِ العُجاب ؟ !

انَّ الشعر الواقع الاجتماعي في ذلك العصر دفع عدداً من الشعراء أن ينظموا قصائد ، مضمّنين فيها معاناتهم في مجابهة الحالة المأساوية التي يمرُّون بها من فاقة وضنك ، مثل محمد بن عبد العزيز السوسي الذي ذبَّج قصيدة طويلة تربو على أربعمئة بيت ، شرح فيها الظروف العسيرة التي يتعرض لها في ظل القهر والحرمان(٧٩٨) .

---

(٧٩٤) يتيمه الدهر ٢ : ١٢٢ .
(٧٩٥) سكن : زوجة .
(٧٩٦) يتيمه الدهر ٢ : ١٢٤ .
(٧٩٧) الغُفر : السير الذي في مؤخرة السرج .
(٧٩٨) يتيمه الدهر ٢ ، ٤٢٧ .

وظهر الى جوار شعر الكدية ، شعر هزلي خليع ماجن(٧٩٩) ، نتيجة شيوع البطالة ، وفشو الفساد الاجتماعي والتردّي الخلقي في جانب من المجتمع آنذاك . فلم تتورع طائفة من الشعراء من أن تخلع قناع الحشمة والوقار وتلج باب السخف والدعارة ، متخذةً هذا اللون من الشعر وسيلةً للارتزاق وكسب المال ، تُضحكُ به أهل اللهو والفراغ من الرؤساء والأغنياء . ولعلّ طريقة هذه الطائفة امتداد لطريقة أبي دُلامة زيد بن الجون الذي عُرف بنوادره ومجونه زمن السفاح والمنصور والمهدي(٨٠٠) . وقد اشتهر بها في القرن الرابع أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج البغدادي ، ومحمد بن عبد الله المعروف بابن سُكَّرة الهاشمي ، وفي القرن الخامس الشريف أبو يَعْلَى محمد بن صالح المعروف بابن الهبّاريّة ، وفي القرن السادس هبة الله بن الفضل المشهور بابن القطّان .. ولم يكن هؤلاء الشعراء مُقَصّرين في الموضوعات الشعرية الأخرى ، ولكنهم تهافتوا على الدعابة والفكاهة والمجون ؛ لأنهم وجدوا فيها نفعاً ورواجاً . وقد صرّحَ بذلك ابن الحجاج ، فقال(٨٠١) :

لو جدَّ شِعري رأيتَ فيه ... كواكبَ الليلِ كيف تَسْري
وانما هَزْلُهُ مُجونٌ ... يمشي في المعاشِ أمري

ومن مظاهر الفساد الخلقي في طرف من المجتمع ذيوع الغزل بالغلمان ، الذي عُرف من قبلُ على يد أبي نواس ومن سار في ركْبِه ، وقد لاحظ آدم متز هذه الظاهرة فقال : « لاشكَّ أنَّ الغزل الذي قيل في التوجُّع من هوى الغلمان يعادل ماقيل في هوى النساء على الأقل(٨٠٢) » . ونحن لانستبعد ماذهب اليه أحد الباحثين من « أنَّ كثيراً من الشعراء قد استعملوا ضمائر المذكر مع أنهم في الواقع كانوا يوجهون شعرهم الى معشوقات لا الى معشوقين(٨٠٣) » أو أنهم كانوا ينظمونهُ تظرفاً(٨٠٤) ، مثل قول الشاعر صالح بن رشدين(٨٠٥) :

---

(٧٩٩) ينظر الادب في ظل بني بويه ص ٢٤٨ ـ ٢٩٠ ، الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ٢ : ١٢٨ ، عصر الدول والامارات ص ٢٩٦ ، الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص ٢٧٧ .

(٨٠٠) ينظر أبو دلامة الرجل الشاعر والناقد السافر ص ٤٩ .

(٨٠١) يتيمة الدهر ٢ : ٢٢ .

(٨٠٢) الحضارة الاسلامية ١ : ١٢٥ .

(٨٠٣) تاريخ الشعر العربي للكفراوي ٢ : ١٢٢ .

(٨٠٤) الحياة الادبية في الشام ص ٩٩ .

(٨٠٥) يتيمة الدهر ٢ : ٤١٥

أنت أعطشتني إليـ ـك وأبكيتني دما
فاذا شئتَ أنْ ترى عاشقاً ميتاً ظما
فأدِرْ فيَّ ناظريـ ـك تجدني توهُما

والى جانب الغزل بالمذكر يجد القارىء شعراً في المونث ، وقد جاء في مقطوعات وقصائد مستقلة ، أو في مقدمات بعض القصائد المدحية . ومن عيون هذه المقدمات ماقاله ابن الخياط الدمشقي(٨٦) :

خذا من ضبا نجدٍ أمانا لقلبه فقد كاد ريّاها يطير بلُبّه
واياكما ذاك النسيم وانّه اذا هبّ كان الوجد أيسر خطبه
خليليّ ، لو أحببتُما لعلمتُما محلّ الهوى من مُغرم القلب منه
تذكّر والذكرى تشوقُ وذو الهوى يتوقّ ومَنْ يعلقْ به الحبُّ يصبه

ثم يصف الحبيبة وصفاً حسياً يذكر ثناياها ورضابها وزيارته لها وعكوفه عندها بلغة رقيقة عذبة ، وقد استحسن ابن خلكان هذه القصيدة وعدّها من الغرر ورأى أنه لو لم يكن للشاعر غيرها للكفاه ذلك(٨٧)

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالغزل الرقيق العفيف الملك الامجد مجدالدين الايوبي ، الذي يعد ذروة نضجه الفني المشفوع بالذاتية والطبع السليم(٨٨) . وحسام الدين الحاجري الاربلي الذي يمثل ـ كما يقول الدكتور شوقي ضيف ـ مرحلة جديدة للغزل العذري البدوي الذي قرأناه عند المتنبي والشريف الرضي ومهيار . وكأن الحاجري أراد تجديد غزلهم وتمثله تمثلاً نادراً(٨٩) . مثل قوله(٩٠) :

سليمى لم أقض منها مآربا أغرّ الى قلبي حبيباً وصاحبا
وألتذ لي من بارد الماء غلّة وأعذب من الدنيا لقلبي مواهبا
أخاف ظبيها من عيونٍ وشاتها واحذر عنها حين تقبل جانبا
ولي شغفٌ لايبرحُ الدهر قائداً زمامي اليها بالصبابة جاذبا

---

(٨٦) ديوانه ص ١٧٠ .
(٨٧) وفيات الأعيان ١ : ١٤٥ .
(٨٨) ينظر ديوانه بتحقيقنا ، وبحث الدكتور مصطفى جواد (أقدم شعراء الكرد في العربية الملك الامجد) مجلة الكتاب ، الصدوان ١ ، ٢ سنة ١٩٥٨ .
(٨٩) عصر الدول والامارات ص ٣٩١ وينظر بحثنا (حسام الدين الحاجري الاربلي ، حياته وشعره) مجلة آداب المستنصرية ، العدد ١٠ سنة ١٩٨٤ .
(٩٠) ديوانه ص ١٤٨ .

أعاتبُ سلمى بالقطيعة والجفا ... أعيذك أن تُهدي إليها المعاتبا
واقسم لو أنَّ المنايا بكفِّها ... كؤوسٌ فأسقاها لطابتْ مشاربا
أجلْ نظراً في وجهها تر بهجةً ... تُنسي قلوب العاشقين الحبائبا
أأطلبُ من سلمى بديلاً وأبتغي ... سُلوّاً ؟ ألا لانلتُ قصدي طالبا

إنَّ شاعريّة الحاجري في الغزل فيّاضة . ترفدُها عاطفة صادقة . وخيال خصب . وميدان هذا الغزل في الجزء الأكبر من شعره الديار الحجازية . فنراه يذكر – على طريقة الشريف الرضي في حجازياته . وأبي المظفر الأبيوردي في نجدياته – ملاعب عالج . ورمال كاظمة . والعُذيب . وحاجر . ومرابع رضوى والعقيق . وفاتنته التي تسكن هذه المواقع أنقعُ من الماء القراح . وأطيب من كل لذّة ومراح وحبُّه لها دائم بلا انقطاع . ووثيق بلا انفصام مهما كلّفه ذلك من أذى ويحنُ وسقام . لأنه ألفها كما يألف الوليدُ الرضاع . ويمن اليها حنين النياق الى مرابع خبّها :(١١١)

ألفتك إلف الوليد الرَضاع ... وقد يألفنَّ الرَضيع الفطام
سأبكيك مابكت الثاكلات ... وهيهات يبرد مني الأوام
وأحنو إليك حنين النياق ... لهنَّ بأكتاف نجد غرام

وشاع في هذا العصر لون من الشعر يُعبّر عن صور المودّة والمحبّة والصلة المتينة بين الخلان والأصحاب . ينظمه الشعراء في المناسبات المفرحة والمحزنة . وتغلب عليه المقطّعات . ومثال ذلك ماكتبه أبو فراس الحمداني الى أخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد :(٨١٢)

حللت من المجد أعلى مكان ... وبلّغك الله أقصى الأماني
فانّك . لاعدمتْك الغلى ... أخٌ لا كاخوة هذا الزمان
صفاؤك في البُعد مثل الدنوّ ... ووُدُّك في القلب مثلُ اللسان
كسونا أخوّتنا بالصفاء ... كما كُسيتْ بالكلام المعاني

واتسع نطاق شعر الشكوى الذي عبّر فيه الشعراء عن مشكلاتهم الخاصة . ولاسيما قسوة الحياة ومشقتها . ومعاناة الضنك وسوء الحالة الاقتصادية . وكان كثير منهم يُلقي اللوم على الزمان ويصبُّ حنقه على الدهر . مثل قول ابن نباته السعدي(٨١٣)

---

(١١١) ديوانه ص ٢٢١ .
(٨١٢) ديوانه ص ٢٩٧ .
(٨١٣) ديوانه ٢ : ٧٥ .

هي الخرقاءُ تنقضُ بعد نسج ... فما فيها لحيي من فلاح
يؤولُ به الشبابُ الى مشيبٍ ... ويسلمُهُ الغدوُّ الى الرواح
وقد فُتِنَ الأنام بها وغرّوا ... كما يغترُّ بالحدقِ السلاح
وتأخذ من جوانبنا الليالي ... كما أخذَ المساءُ من الصباح
أما في أهلها رجلٌ لبيبٌ ... يحسُّ فيشتكي ألمَ الجراح ؟
أرى التشميرَ فيها كالتواني ... وحرمانَ العطيّة كالنجاح

ومَنْ لبسَ التراب كمن علاه ... فلا تغرُرْكَ انفاس الرّياح
وكيف يكِدُّ مهجتَهُ حريصٌ ... يرى الارزاقَ في ضرب القداح

وكذلك راج شعر الحنين الى الوطن الذي تتّضحُ فيه العاطفة وتتجلى فيه لوعة الفراق . فراق الوطن والاهل والاحباب . ونجد مثل هذا الغرض عند المتغربين من الشعراء مثل الامام الزمخشري الذي يحنُّ الى مسقط رأسه زمخشر حيثما كان بعيداً عنها في مكة مجاورا بيت الله الحرام (٨١٤) :

أفضت اليك شكاة الواجد الكمد ... فأشك يارَبِّ صنعَ الواحد الصمد
حُبُّ الدنوّ من الحرام رمى ... بالجمر فيها وحبُّ البعد عن بلدي
همّان ان تكن يارَبِّ خطبهما ... شكرتُ مادام تجري الروح في جسَدي

وهام ابو الوفاء الخفاجي بحب الشام ، وحنَّ الى مواطنه حلب بعد ان طوحت به الغربة بعيداً عن اهله واخوانه . فقال في مستهل قصيدة (٨١٥) :

فؤاد يهيم بذكر الوطن ... ودمع بعيد رسوم السكن
دليل بأنا عليم الساهرون ... لسير الصباح عصيّ الوسن

وللشاعر ابي اسحاق الغزي شعر كثير في الحنين الى الوطن . وذلك امر طبيعي نظراً لطول المدة التي قضاها في بلاد العجم . من قوله في قصيدة يذكر أيام صباه في غزّة . مسقط هامته . ومقام هواه . ومعنى اقاربه (٨١٦) :

مقامُ هوى قلبي ومسقط هامتي ... ومعنى صباباتي ومعنى اقاربي
ذكرت بذاك الربع عيشاً طويتُه ... على غزّة والعيشُ كوةُ سالب

---

(٨١٤) الادب العربي في اقليم خوارزم ص ١٣٢ نقلا عن ديوان الزمخشري . ورقة ٢٦ .
(٨١٥) ديوان ابن سنان ص ١١٣ .
(٨١٦) الحياة الادبية في الشام ص ١٥٥ نقلا عن ديوان الغزي ص ٢٠ .

ومن الاغراض الشعرية الواسعة في هذا العصر الرثاء . ويلاحظ ان المعاني فيه لاتكاد تخرج عما درج عليه الشعراء السابقون من ذكر مآثر الفقيد وما خلّف من حزن وأسى في القلوب . ويُعدُّ ابو الحسن التهامي من الشعراء المتميزين في الرثاء . فله اربع مرثيات في ابنه ابي الفضل تفيض بالصدق الممزوج بالالم الشديد . ولعل اكثرها شهرة قصيدته التي استهلها بقوله(٨١٧) :

حكمُ المنيَّةِ في البريَّة جاري ... ماهذه الدنيا بدارِ قرارِ
طُبِعَتْ على كدرٍ وأنتَ تريدها ... صفواً من الاقذاءِ والاكدارِ
ومكلِّفُ الايام ضدَّ طباعِها ... متطلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ
والعيشُ نومٌ والمنيَّةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ ساري
فاقضوا مآربكم عجالاً انَّما ... أعمارُكم سفرٌ من الأسفارِ
ليس الزَّمانُ وانْ حَرَصْتَ مسالماً ... خُلُقُ الزَّمانِ عداوةُ الاحرارِ

وقد نالت هذه القصيدة استحسان ابي العلاء المعري . وكان يستنشدها من يرد عليه . وقد استنشدها التهامي نفسه دون ان يعرفه . فلما انشدها عرف انه التهامي . وشهد له بانه اشعر الشام . وعلل معرفته بالتهامي بقوله : « سمعت منه القصيدة سماعاً يدل على ان صاحبها بخلاف سماعي اياها من غيره(٨١٨) » . ورآها ابن خلكان في غاية الحسن(٨١٩) .

ومن الملاحظ في هذا العصر رثاء العلماء والادباء والبكاء عليهم بقصائد تصور خسارة الامة فيهم وخلو ساحة المعرفة منهم . ومن اوضح الامثلة على ذلك ماقاله ابن ابي حَصينة في رثاء ابي العلاء المعري(٨٢٠) :

العلم بعد ابي العلاء مُضيَّعٌ ... والارضُ خاليةُ الجوانبِ بلقعُ
أودى وقد ملأ البلاد غرائبا ... تسري كما تسري النجومُ الطُّلَّعُ
وعجبتُ ان تسعَ المعرةُ قبرَه ... ويضيقُ بطنُ الارضِ عنه الاوسعُ
تنصرمُ الدُّنيا ويأتي بعدَهُ ... أممٌ وانتَ بمثلِهِ لاتسمعُ

---

(٨١٧) ديوانه ص ٤٧ .
(٨١٨) اوج التحري ص ١٢٧ .
(٨١٩) وفيات الاعيان ٢ : ٣٧٩ .
(٨٢٠) ديوان ابن ابي حصينة ١ : ٣٧٣ .

وكان لرثاء ابطال الحروب الصليبية وتمجيد مآثرهم نصيب وافر من الشعر . ولا سيما في رثاء عماد الدين زنكي . ونور الدين محمود . وصلاح الدين يوسف بن ايوب(٨٢١) . ولعل قصيدة العماد الاصبهاني التي بلغت مئتين واثنين وثلاثين بيتاً في رثاء صلاح الدين من اطول القصائد التي نظمت آنذاك . ومطلعها :

شملُ الهدى والملكُ عمَّ شتاتهُ والدهرُ ساءَ وأقلعت حسناتهُ

انها قصيدة جيدة في نوعها . فهي تحكي ـ في معرض الحزن والاسى ـ قصة بطل عاش حياته كلها في نضال وكفاح من اجل احقاق الحق وازهاق الباطل . ودفع الاذى عن الآمنين ورفع الحيف عن المظلومين .

بعد هذه الالمامة الموجزة في فنون الشعر نقف عند الشعر القومي . ووصف الطبيعة . وشعر التصوف . وقفة طويلة كما هو منصوص عليه في مفردات خطة الكتاب .

الشعر القومي :

وقعت الدولة العباسية بعد العز والرفعة والإباء والشمم تحت نير الحكم البويهي ثم السلجوقي . واستولى الاعاجم على مقاليد السلطة . واصبح بايديهم الحلُّ والشدُّ . ودبَّ النزاع بين بعض رجال العصر آنذاك . فأقطعوا لانفسهم اجزاء من جسم هذه الدولة واقاموا عليها امارات مستقلة . وتضافرت ثورات شعوبية حاقدة على تقويض الكيان العربي الاسلامي . وقد هزَّت هذه الاحداث المريرة مشاعر الشعراء الشرفاء وحملهم الى نظم الشعر المعبر عن الالم الذي اصابهم من جراء ذلك .

ان بوادر الشعر المعبر عن الوعي القومي ظهر في قصائد الشاعرين الطائيين ابي تمام وابي عبادة البحتري . اذ نجد في شعر الاول اسماء عدد من القادة العرب الذين سطّروا اروع ملاحم البطولة والشجاعة والشهامة والفروسية . امثال الخليفة المعتصم بالله الذي لبى نداء المرأة العربية التي صرخت « وامعتصماه » . وابي دُلف العجلي ومحمد بن حُميد الطائي اللذين حاربا بابك الخرمي . وابي سعيد محمد بن يوسف الثغري القائد المظفر الذي بلغ اسوار القسطنطينية . وخالد بن يزيد البطل الشهم الذي قاتل الروم ببسالة . وكذلك تتجسد في شعر البحتري الروح العربية الاصيلة والدفاع عنها وعن قيمتها ومبادئها ورجالها . ونجد مثل هذا في شعر ابن

(٨٢١) ينظر ديوان العماد الاصبهاني ص ٢٥ ـ ٢٩ .